كان[١] محمد على رجلا واسع الحيلة شديد الغدر ، حين استتب له الأمر تنكر لوعوده التى وعد بها السيد / عمر مكرم حينما خلع عليه خلعة الولاية ، أن يسير فى حكمه بالعدالة وصيانة الحقوق ، ونفى صاحب الفضل عليه إلى دمياط ثم إلى طنطا ، ولم يسمح له بالعودة إلى القاهرة إلا بعد أن أصبح شيخا واهنا ، لا يخشى منه ولا يركن عليه .

ومن الحقائق التى سجلها الجبرتى عليه ، نظرته إلى المصريين كأنهم خدم له وأتباع ، وإلى مصر كأنها مزرعة ليس لأصحابها فيها حقوق ، ومظهر هذه النظرة ، نراه فى إهماله المصريين إهمالا شائنا معيبا ، فى كل ماله شأن أو خطر من أمور الدولة والحكم والولاية العامة ، واعتماده كل الاعتماد فى ذلك على الأجانب من كل صنف ، وخاصة الفرنسيين والأرمن .

وقد أوصى الإمبراطور نابليون قنصل فرنسا فى مصر ، بأن يرعى شئون السيدة نفيسة خصوصا بعد ما صودرت أموال المماليك ، وأن يقدم لها أى خدمة تحتاج إليها ، وأن يتدخل فى الأمر لدى محمد على باشا كلما لزم ذلك فى سبيل حمايتها من مظالمه وبطشه ، ولم تنسه مظاهر المجد ومشاغل الملك بعد ما تربع على عرش فرنسا أن يسأل عنها ويتسمع أخبارها ، ويوصى بها كل خير .

---

(١) مصر فى القرن الثامن عشر ، الجزء الثالث . لمحمود الشرقاوى .